

الرائد

الدكتور حسام موافي وتقديم

«جبر الخواطر»

على

«أركان الإسلام»

مركز بحوث ودراسات
الدين والثقافة
بمصر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَبْعُوثِ
رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

اشتهرت بين الناس قصة يرويها الطيب حسام موافي أن
أحد المشايخ اختبره بسؤاله عن أعظم العبادات فأجابه
الدكتور بفطرته وذكر له: الصلاة والصيام وغيرها من
أركان الإسلام، وكل ذلك والشيخ يقول: لا، فلما عجز
عن الإجابة، أجابه الشيخ بأن أعظم عبادة هي: «جبر
الخواطر» - أي مساعدة الآخرين وإعانة المحتاجين -
واستدل على ذلك بقوله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ
بِالدِّينِ ﴿١﴾ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحْضُرْ عَلَى
طَعَامِ الْمَسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾﴾ [الماعون]، ثم
ذكر ذلك الشيخ أن القرآن كله في «جبر الخواطر»، ثم

استطرد الطيب وهو يحكي هذه القصة وذكر مؤيداً لفكرة ذلك الشيخ أن تحويل القبلة كان جبراً لخاطر النبي ﷺ وغير ذلك، ثم ذكر قصة حدثت معه وكيف أنقذه الله من الموت بسبب جبره لخاطر مريض في يوم استراحته.

ف نقول ردًا على هذا الكلام:

١- لقد انتشرت هذه القصة انتشاراً كبيراً جداً، ورددتها كثير من الخطباء والوعاظ ودعاة الفضائيات، وذلك لحب الناس للقصص المثيرة للعواطف والأحاسيس، وإن لم تكن مؤسسة على عقيدة صحيحة، وتأصيل شرعيٍّ سليم. ثم إن كثيراً منهم نسب القصة إلى الشيخ محمد متولي الشعراوي. وقد كذب الدكتور حسام موافي - وهو صاحب القصة - نسبتها إلى الشعراوي، ورفض الإفصاح عن اسم الشيخ الذي ذكر له هذه المسألة، فالله أعلم به وبمكانته في العلم والفقہ.

٢- لا ريب أن إعانة المحتاجين وجبر خواطرهم له

أهمية ومكانة في الشريعة، وجاءت نصوص عديدة تحض

على ذلك، كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ ۗ قُلْ مَا

أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ

السَّبِيلِ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

[البقرة] وغيرها كثير، فالعدول عن هذه النصوص الصريحة

في المسألة إلى نصوص ليست في قوة دلالتها كتلك في هذا

المقطع، إنما كان لزرع عقيدة جديدة وتغيير في عقائد الناس

وفطرتهم الصحيحة، وربما كان عن حسن نية من غير قصد

ولا إدراك لأبعاد هذا الأمر الخطير، لكنه بلا شك تحريف

للدين وقلب للحقائق وتغيير لأركان الإسلام.

٣- الآية التي استدلت بها ذلك الشيخ على تقديم «جبر

الخواطر» على الصلاة والصيام، إنما تدل على نقيض ما

قصد، وهذه سنة وعادة في من يحاول تحريف الدين بقصد

أو بغير قصد، ويستدل على ذلك من الكتاب والسنة، فلا بد أن يكون الدليل الذي استدللَّ به دالٌّ على عكس مراده وهذا من حفظ الله لكتابه ودينه، فالآية تتكلم عن الكافر الذي لا يراعي حق الله ولا حق عباده، فكذب بدينه وشرعه ودخل في ذلك كل العبادات من أركان الإيمان والإسلام، ولم يراعي حق عباده في الإحسان إليهم فجمع الشر كله، وأما قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون]، فهذه جملة استنافية جديدة تتضمن حكماً آخر، فيه الوعيد الشديد بالهلاك للمصلين الذين يتعمدون تأخير الصلاة عن وقتها، فأين بعد هذا البيان الواضح في تأخير مرتبة الصلاة عن «جبر الخواطر» بله جعله أعظم العبادات؟!!!

٤- التفسير النفعي للدين - الذي يقدم العلاقات

الأخلاقية من الإحسان للآخرين ومساعدة المحتاجين على

العبادات الشرعية، بل وتحريف لمعاني العبادات بجعلها ذات أهداف أخلاقية دنيوية وحسب، والذي كان من أكبر دعائه الملاحدة من الفلاسفة أمثال ابن سينا والفارابي وغيرهم، وتبعهم جماعات من الحركيين على هذا الأصل - ظاهرٌ جدًّا في هذا المقطع الذي لم يعتبر الصلاة والصيام من أعظم العبادات وقدم عليها غيرها، ثم جاء الدكتور وخرَّج على تأصيل ذلك الشيخ تفسيرًا غريبًا لم يسبق إليه أحد، وجعل تحويل القبلة لجبر خاطر النبي ﷺ ورضاه، مع أن الله نصَّ على العلة في تغيير القبلة السابقة بقوله: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، فكان التحويل اختبارًا للمتابعة المسلمين لنبيهم وعدم الاعتراض على أمر الله، ولمعرفة من يرتدُّ فلا يكون إيمانه صحيحًا ومتابعته تامة، فلا يصح العدول عن العلة المنصوصة الصحيحة في تحويل القبلة إلى

القول بأنَّ ذلك كان لأجل رضى النبي ﷺ وجبراً لخطأه.
والقبلة الأولى لم تكن من شرع الله أصلاً، قال شيخ
الإسلام: «وأما ما بُدِّل بعد المسيح، مثل: استحلال لحم
الخنزير، وغيره مما حرَّمه الله ولم يبيحه المسيح، ومثلُ:
إسقاط الختان، ومثلُ: الصَّلاة إلى الشَّرق، واتخاذِ الصُّور
في الكنائس، وتعظيم الصَّليب، واتباع الرّهْبانيَّة، فإن هذه
كلّها شرائع لم يشرعها نبيٌّ من الأنبياء، لا المسيح ولا
غيره، خالفوا بها شرع الله الذي بعث به الأنبياء من غير أن
يشرعها الله على لسان نبي».

«الجوابُ الصَّحيحُ لمن بدَّل دين المسيح» ٢ / ٦٨ . ط. مركز التأصيل.

فلما جاء الإسلام، أقرَّها فترة من الزمن ثم حوّلت إلى
الكعبة، فتشوّق النبي ﷺ لجعل الكعبة هي القبلة، كان لسابق
علمه بأنها هي القبلة التي يحبها الله ويرضاها، فكان رضاه
عليه الصَّلاة والسَّلام تابعاً لرضى الله تعالى فهو يرضى عمّا

يُرْضِي اللهُ عَزَّ وَجَلَّ، ولذلك كان يقرب وجهه في السماء
يُنْتَظَرُ الأَمْرُ بِالتَّحْوِيلِ.

٥- كيف يُجْعَلُ الإِحْسَانُ لِلآخِرِينَ أعْظَمَ العِبَادَاتِ
ومقدمة على الصَّلَاةِ والصِّيَامِ، والوَعِيدِ الذي جَاءَ فِي تَرْكِ
هَذِهِ الأَرْكَانِ لَمْ يَأْتِ مِثْلُهُ فِي غَيْرِهِ مِنَ الأَمْرِ الشَّرْعِيِّ مَا
عَدَا التَّوْحِيدَ فَلَا يَغْفِرُ اللهُ لِمُشْرِكٍ أَبَدًا، وَلَيْسَ هَذَا إِلاَّ غَفْلَةٌ
عَنِ الْمَقْصُودِ الصَّحِيحِ مِنْ خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَعَنِ الْمُرَادِ
الْحَقِيقِيِّ مِنَ التَّكْلِيفِ، أَلَا وَهُوَ: عِبَادَةُ اللهِ الَّتِي تُتَضَمَّنُ
كَمَالَ الحُبِّ وَالخُضُوعِ وَالدَّلَّ لِعَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ غَايَةَ
سَعْيِ السَّاعِينَ وَعَمَلِ الْمُصْلِحِينَ، إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
لِتَحْقِيقِ هَذَا الغَرَضِ الَّتِي يَجِبُ اللهُ وَيَرْضَاهَا، وَهُوَ: حَقُّهُ
عَلَيْنَا وَلِأَجْلِ خَلْقِنَا، فَجَبَرَ خَوَاطِرَ الْمُحْتَاجِينَ إِنْ لَمْ يَكُنْ
لِأَجْلِ ذَلِكَ وَإِلَّا هُوَ عَمَلٌ لِأَجْلِ إِرْضَاءِ النَّفْسِ وَتَحْصِيلِ
الْمُقَابِلِ الدُّنْيَوِيِّ وَجَذْبِ حُبِّ الْآخِرِينَ، فَالنَّفْسُ مَجْبُولَةٌ عَلَى

حب من أحسن إليها، والشريعة جاءت لتوجيه النفس إلى ما ينفعها، ولا ينفعها إلا أن تعمل لرضى ربها.

٦- اعلم رحمك الله أن أفضل الأعمال على الإطلاق

باعتبار جنسها على ضوء مدلولات النصوص وفهم العلماء لها وتوجيهها:

الشهادتان وتحقيقها تلفظًا واعتقادًا وامتنانًا للعمل

بمقتضاهما، فهما يدخل الرجل في الإسلام، وهي الأصل العظيم الذي يندرج تحته بقية الأركان، وسائر خصال الدين.

ثم الصلاة، ثم الزكاة؛ إذ هي قرينة الصلاة في كتاب الله

وفي عامة النصوص، ثم بقية الأركان، ثم سائر الواجبات،

وأفضلها بر الوالدين على ما هو ظاهر حديث أبي هريرة

رضي الله عنه فقد ذكر بر الوالدين بعد الصلاة، فدل على أنه

أكد الواجبات بعد أركان الإسلام.

ثم يأتي بعد الواجبات نوافل العبادات، فأفضلها طلب العلم ثم الجهاد ثم الذكر، فهذه الأعمال الثلاثة أفضل الأعمال بعد الفرائض، وقد جاء في كل واحد منها من النصوص وكلام أهل العلم ما ظاهره أنه أفضل الأعمال بعد الواجبات.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إِنَّ

اللَّهُ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنَنِي بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لِأَعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لِأُعِيدَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدَّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ، يَكْرَهُ الْمَوْتَ وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ.

أخرجه البخاري (٦٥٠٢). والله أعلم.